٣٠٤١٤

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع — العدد الاول ١٣٩٥ — ١٩٧٥

مدينة الحـــلة

في

اخبار بغداد وما جاورها من البلاد

للسيد محمود شكري الآلوسي

تحقيق وتعليق

صباح محمود الحلي

من بين المصادر التي اعتمدت عليها في اعداد رســـالتي للماجستير الموسومة بـ « مدينة الحـــلة الكبرى ، وظائفهـا وعلاقاتها الاقليمية » ، مخطوط « اخبار بغداد وما جاورها من البلاد » لمحمود شكري الآلوسي ، طيب الله ثراه . فقد جمع فيه مادة جيدة عن مدينة الحلة ، من هنا وهناك من المصادر ، زيادة على انه يصفها في اوائل القرن العشرين ، ويتحدث عن تحول نهر الفرات ، وبناء سد الهندية وافتتاحه وما قيل في ذلك من شعر ... وغير ذلك مما سنأتي عليه .

وقد وجدت ، بعد اكمال رسالتي ، بانه من المفيد ان اقوم بنشر النص المتعلق بمدينة الحلة من المخطوط واعلق عليه ، باعتباره يصف صورة لحدث جغـرافي مهم ، تداخل فيـه معلومات تاريخية وادبية للسنوات الاخيرة من الحكم العثماني في العراق ، يستفيد منه دارس التاريخ والأدب والجغرافيا .

مقدمـة :

تقدمت الجحافل التترية نحو بغداد لتقوض اركان الحضارة العربية التي بلغت ارقى درجاتها في العصر العباسي « فاستحالت بذلك خلال ايام معدودة من كونها قهرمانة الممالك وســـيدة البلاد الى مركز حقير ثانوي من مراكز الامبراطورية الايلخانيـة المترامية الاطراف ، وقد خيم على العراق من بعد هذا ظـلام دامس لا تستبين العين في دياجيره الا آثار الجور المبين ولا يسترق السمع خلاله الا انين حضارة سارت بذكرها الركبان واحتضار مدنية سرعان ما اسـلمت الروح فوان عليها صمت المـــوت الرهيب »(١) فعاش العراق في ظل فوضى سياسية وتدهـــور اقتصادي ونقش لامراض اجتماعية ، بحيث انتقل المجتمع الى مرحلة بدائية منحطة ، لا يامن فيها الانسان على نفسه وعرضه وماله ، ناهيك عن انتشار المجاعات والاوبئة وكثرة الحروب بين الامراء والولاة ، وما تحصده من افواج مؤللة ، تجند للحرب بالقسر والقسوة .

وخلال القرون التي وقع فيها العراق تحت الســـيطرة العثمانية ، كان الغلب الولاة ، غلاظ اجلاف جهلة ، لا هم لهم سوى جباية الاموال وارضاء السلطان والاعوان ، فتفشـــت الرشوة والسرقة وشهادة الزور وكل انواع المنكر ، ولم تقف الامور عند هذا بل « ان التعصب التركي دفـع بهم الى ان يفرضوا لغتهم التركية على سكان البلاد العربية وجعلوها لغـة الدواوين ، فشاعت الرطانة ، وانزوت العربيـة في المدارس الدينية والمساجد والربط والزوايا »(٢) .

ومن بين دياجير ظلمة الحكم التركي في العراق ، لمعـت كواكب بعض الاسر الجليلة لحفظ اللغة العربية والتراث والثقافة الاسلامية ، ومن بين تلك الاسر التي لعبت دورا كبيرا في ذلك ، الاسرة الآلوسية التي نبغ فيها الاعـلام الفطـاحل من ذوي التصانيف والتاليف الجليلة ، وكان العلامة الآلوسي ، محمود شكري ، واحدا منهم .

محمود شكري الآلوسي : حياته ومؤلفاته

هو محمود شكري بن عبدالله بهاءالدين بن محمود شهاب الدين ابي الثناء بن عبدالله صلاحالدين بن محمود الآلوسي(٣) ،

---

(١) جعفر الخياط : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ج ١ . الطبعة الاولى ١٩٧٠ ، ص ٧ .

● يتقدم المحقق بجزيل شكره للمساعدات والملاحظات التي ابداها كل من الاستاذين الفاضلين ، انشوخ بن الخاقاني صاحب البيان ومحي هلال السرحان .

(٢) علي علاءالدين الآلوسي : الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر . تحقيق جمالالدين الآلوسي وعبدالله الجبوري . بغداد ١٩٦٧ ص ٧ . وعن حالة العراق في العهد التركي انظر : ساطع الحصري : البلاد العربيـة والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٥ . احمد علي العوني : المماليك في العراق ، الموصل ١٩٥٢ . ياسين خـيرالله العمري : غرائب الاثر ، الموصل ١٩٤٠ . توفيق علي برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ، القاهرة ١٩٦٠ . وغير ذلك من المصادر الكثيرة .

(٣) يقول ياقوت الحموي «آلوس : اسم رجل سميت بـه

المعروف بجمال‌الدين ابي المعالي الآلوسي(٤) . ولد في التاسع عشر من رمضان عام ١٢٧٢هـ (١٨٥٧م)(٥) في محلة العاقولي في رصافة بغداد(٦) . اخذ العلوم اللسانية والدينية عن والده واتقن على يده ايضا ، الخط فجود فيه . وما ان اختطفت يد المنون والده حتى تكفله عمه العلامة نعمان خيرالدين الآلوسي ، فاعتنى بتربيته وتعليمه . كما اخذ يختلف على افاضل علماء بغداد ويرتاد مجالس دروسهم ، واختص بمجلس الشيخ اسماعيل بن مصطفى مدرس جامع الصافة فلزمه فترة غير قصيرة . وبعد ان بلغ من العلم مبلغا ، تصدر للتدريس في داره وفي جامع عادلة خاتون ، ثم عين مدرسا في جامع الحيدرية ، ثم في جامع السيد سلطان علي .

وعندما كان عبدالوهاب باشا واليا على بغداد ، سعى الوشاة اليه بالعلامة الآلوسي ، فكتب هذا الى سلطانه عبد الحميد ، فامر بنفيه مع جماعة من العلماء(٧) الى بلاد الاناضول، وما ان دخلوا الموصل حتى سعى اعيانها الى السلطان فاقنعوه ، واعيدوا الى بغداد .

وقد انيط به في زمن ولاية سري باشا على بغداد ، انشاء القسم العربي من جريدة الزوراء ، فحبر ببراعه المقالات العديدة ثم لزم داره بعد نقل الوالي سري باشا .

وفي العاشر من محرم عام ١٩١٤ ، سافر العلامة الآلوسي ، بعد ان انتدبته الحكومة العثمانية ، ومعه ابن عمه الحاج علي علاءالدين الآلوسي والاستاذ نعمان الاعظمي ، الى نجد لتقريب الامير عبدالعزيز آل سعود والاتفاق معها على الانكليز ، فاعتذر لهم ابن سعود ، وتعهد بان يكون على الحياد ، فآب الآلوسي الى بغداد(٨) .

وبعد الاحتلال البريطاني للعراق عرض عليه قضاء بغداد فرفض ، كما عرض عليه بعد تشكيل الحكومة العراقية المؤقته الافتاء ومناصب اخرى فاعتذر . وشغل في اواخر حياته عضوية مجلس المعارف العراقي . وابتلي عام ١٣٢٧هـ بداء في المثانة ادى الى وفاته في الرابع من شوال عام ١٣٤٢هـ (٨ ايار عام ١٩٢٤م) ، ودفن في مقبرة الشيخ جنيد بجانب الكرخ(٩) .

ذكره الآثري فقال « كان السيد رجلا نادر المثال في مثل عصره ومصره مستجمعا للفضائل ، واسع الاطلاع غزير المادة ، اماما في معرفة مقالات اصحاب الملل والنحل ... وكان كثير الحياء عظيم التواضع » . وقال عنه صاحب لب الالباب « امام لا يدرك شاوه ، ولا يسبق في العلوم خطوه ، ولا في مضمار المفاخر والفضائل قلوه » ، واشار الكرملي في تعليقه على كتاب الآلوسي ، بلوغ الارب ، ومقارنته مع التصانيف المشابهة الاخرى بانه « لم يبرع فيها سوى استاذنا محمود شكري الآلوسي ، السيد الشريف والكاتب الضليع »(١٠) .

أما تصانيفه وتاليفه فكثيرة ، منها المطبوع الذي اشرف عليه الاستاذ محمد بهجة الآثري ، ومنها المخطوط القابع في الخزانات ينتظر التحقيق والنشر . فمن مؤلفاته الدينية ، غاية الاماني في الرد على النبهاني ، وصب العذاب على من سب الاصحاب ، وتجريد السنان في الذب عن ابي حنيفة النعمان ، ومن مؤلفاته اللغوية والادبية ، كتاب الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ، وكتاب تصريف الافعال ، وكتاب المفروض من علم العروض وكتاب امثال العوام في مدينة دار السلام ومن مؤلفاته التاريخية والعلمية كتابه الشهير ، بلوغ الارب في احوال العرب ، وكتاب تاريخ بغداد بثلاثة اجزاء هي اخبار بغداد والمسك الاذفر ومساجد بغداد ، وكتاب تاريخ نجد ، والى غير ذلك من المؤلفات القيمة(١١) .

اسلوبه :

يذكر الاستاذ محمد بهجة الآثري في ترجمته للعلامة الآلوسي بانه قد « التزم السجع في اول امره ثم مال عنها الى طريقة الترسل »(١٢) ، الا انه يظهر لنامن القراءة الدقيقة لاسلوب

بلدة على الفرات ... قرب عانات والحديثة » معجم البلدان . المجلد الاول . بيروت ١٩٥٥ ص ٢٤٦ . وانظر الدر المنتشر ، مصدر سبق ذكره ص ١٢ ، واعلام العراق لمحمد بهجة الآثري ، مصر ١٣٤٥هـ ص ٨ وما بعدها .

(٤) واضاف الزركلي (الاعلام . ج ٨ ، ١٩٥٦ ص ٤٦) لقب الحسيني ، كما اضاف عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين ج ١٢ ، دمشق ١٩٦٠ ص ١٦٩) لقب الحسني والبغدادي . في حين جاء في كتب اخرى لقب الحسني والحسيني (دار الكتب المصرية . فهرس الكتب العربية ج ٧ . القاهرة ١٩٣٨ ص ١٠٢) .

(٥) العام الميلادي ما ذكره الاستاذ الزركلي في اعلامه . بينما يذكر الاستاذ خيري أمين العمري انه ولد في الرابع عشر من آيار عام ١٨٥٦م . انظر : خيري امين العمري : شخصيات عراقية . دار المعرفة . بغداد ١٩٥٥ ص ٩ .

(٦) محمد صالح السهروردي : لب الالباب . مطبعة المعارف بغداد ١٩٣٣ ص ٢١٨ .

(٧) ذكر العزاوي في تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ بغداد ١٩٥٦ ص ١٥٠ ، حادثة نفي العلامة محمود شكري الآلوسي ومعه ثابت بن نعمان خيرالدين الآلوسي ، والحاج حمد العساني وذلك في يوم ٢٢ محرم من عام ١٩٠٥م .

(٨) انظر : العزاوي في تاريخ العراق : مصدر سبق ذكره ص ٢٦٧ .

(٩) من افضل الكتب التي ترجمت له تفصيلا كتاب الاستاذ محمد بهجة الآثري : أعلام العراق . المطبعة السلفية . مصر ١٣٤٥هـ . ولب الالباب للسهروردي ، مصدر سبق ذكره ص ٢١٨ — ٢٢٤ . وشخصيات عراقية : مصدر سبق ذكره ص ٧ — ١٤ وغيرها من الكتب الاخرى .

(١٠) لغة العرب . المجزء الخامس ، السنة الرابعة ، تشرين الثاني ١٩٢٦ ص ٣٠٠ .

(١١) انظر في مؤلفاته وتصانيفه : الآثري : اعلام العراق ص ١٤٠ — ١٥٢ ، الزركلي ، الاعلام ج ٨ ص ٥٠ ، علي الخاقاني ، مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة . القسم الاول ص ٤٠ ، كوركيس عواد : المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين ، بغداد ١٩٦٥ ص ٦٧ ، ٥٩ ، ٣٧ : ٢٠ . محمد أسعد طلس ، الكشاف ص ١٢٠ ، ٢٧٨ ، ٣١٩ . عبدالقادر الشهرباني : تذكرة الشعراء ، بغداد ١٩٣٩ ص ٨٨ ، كوركيس عواد ، المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ببغداد . القسم الثاني ص ٣٦/٤ ، ٤٩ . يوسف الياس سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة مصر ١٩٢٨ . فهرس دار الكتب المصرية ، ج ٧ ص ١٠٢ ، ج ٨ ص ٣٥/٨٢ ، ج ٢ ص ٣٨ ، ٩٤ ، ٢٤١ ، ج ٥ ص ٦١ . فهرس الخزانة التيمورية ، القاهرة ١٩٤٨ ج ٣ ، ٤ ص ٦ ، وغير ذلك من المصادر التي ترجمت له .

(١٢) الآثري ، أعلام العراق ص ١٥٢ .

مؤلفات العلامة الالوسي بانه كان ملتزما للسجع ولم يتركه الى الترسل كليا ، وانما كان الترسل يأتي ايضا مع جمل مسجوعة وطويلة في تاليفه وتصانيفه . وكان السجع الاسلوب الادبي الشائع بين كتاب وادباء عصره ، وليس ادل على ذلك من تلك السجعات التي تتوج الكتب كاسماء لها ، وتلك الكلمات والخطب والرسائل التي اوردها في كتبه لغيره من الادباء والكتاب . ومع ذلك فان اسلوبه « سهل غير متكلف ولا متعسف وسلس لا حوشي فيه ولا مبتذل ، يعتمد الاسلوب العلمي ويقصد الافادة والايضاح »[١٢] .

كتابه المخطوط : اخبار بغداد وما جاورها من البلاد

ذكر الاستاذ الاثري بان كتاب اخبار بغداد يكون مع كتاب المسك الاذفر من تراجم علماء القرن الثالث عشر ، وكتاب مساجد بغداد ، الاجزاء الثلاثة لكتاب تاريخ بغداد[١٤] ، في حين ذكره الاستاذ الزركلي باسم « اخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد » وقال انه في اربع مجلدات ولم يذكر مصدر معلوماته هذه[١٥] . بينما يذكر الشيخ علي الخاقاني بان مخطوط « اخبار بغداد وما جاورها من البلاد » في جزئين في المكتبة العباسية في البصرة ، يبحث الاول في محلات بغداد ومشاهير قصورها وتاسيسها وابوابها ونواحيها والحوادث التي طرات عليها والعشائر التي تحصنت بها والادبرة والاماكن ومراقد العلماء وهو بخط ابراهيم الالوسي احد احفاد المؤلف (محمود شكري الالوسي) الذي فرغ من نسخه في ربيع الثاني عام ١٣٤٤هـ . والثاني خصه بتاريخ الجوامع والمساجد وجاء في اوله « هذا هو القسم الثالث من كتاب أخبار بغداد »[١٦] . ويظهر من كلام الخاقاني بأن الجزء الثالث يتعلق بمساجد بغداد وان اسم الكتاب باجزائه الثلاثة « اخبار بغداد » وليس تاريخ بغداد . بينما يذكر له العزاوي كتابا باسم « تاريخ بغداد » وهو في خزانته منقولا من الاصل[١٧] .

اما الجزء الثاني الذي هو المسك الاذفر فقد ذكرته فهارس دار الكتب المصرية ، بتسمية تختلف عما ذكره الاثري والزركلي ، هي « المسك الاذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر »[١٨] .

وقد اعتمدنا في نشر النص الخاص بمدينة الحلة على صورة المخطوطة ، التي صورتها المكتبة المركزية لجامعة بغداد عن مخطوطة خزانة يعقوب سركيس المهداة الى جامعة الحكمة وهي الآن في مكتبة النجف العراقي ، وتاريخ نسخها عام ١٣٢٧هـ[١٩] . اما النسخة الثانية ، فهي الموجودة في خزانة المكتبة العباسية والتي اشار اليها الخاقاني في فهرسه ويرجع تاريخ نسخها الى عام ١٣٤٤هـ ، ولذلك فان نسخة يعقوب سركيس أقرب الى عهد كتابة المخطوط الاصل (١٣٢٠هـ) ، فاعتمدنا عليها في نشر النص الخاص بمدينة الحلة .

تقع المخطوطة المصورة في ٢٢٧ ورقة ، تبدأ بصفحة العنوان هكذا « أخبار بغداد وما جاورها من البلاد للفقير اليه تعالى محمود شكري البغدادي احسن الله اليه وتقبل عمله » ثم تليها أبيات شعر للاديب الفاضل معروف الندي أولها :

آثار محمود شكري دام يشكرها
بين الورى حاضر الاقوام والبادي

ثم يتكلم على الكتب المؤلفة عن بغداد ، ويتحدث عن بدء دخول العراق في ملك المسلمين وحوزتهم ، ثم يعرج الى ذكر انهاء الكوفة والبصرة ، وما استوجب ذلك ، ثم ذكر الحيرة وما آل اليه امرها من الخراب ، ثم ذكر واسط وسبب بنائها بعد الكوفة ، ثم يفصل القول عن بناء مدينة بغداد وانتقال المنصور اليها وكيفية بنائها ، وبناء الرصافة وسببه ، وعمارة عضد الدولة لبغداد ، ثم ذكر بناء سامرا وانتقال المعتصم اليها وسبب ذلك . وقد تناول كل ذلك في « ٣٣ » ورقة .

وبعد تلك الصفحات تأتي صفحة عنوان ثانية وهي « كتاب اخبار بغداد وما جاورها من البلاد للفقير اليه تعالى محمود شكري الالوسي كان الله له وتقبل عمله سنة ١٣٢٠ » ثم تأتي قصيدة معروف الندي التي مر ذكرها . واذا اعتبرنا هذه الصفحة هي الورقة الاولى التي تبدا عندها المخطوطة ، مخالفين بذلك كوركيس عواد[٢٠] ، يكون عدد اوراقها « ٣٠٤ » ورقة .

اهمية الكتاب والنص :

يعتبر الكتاب موسوعة ليس عن مدينة بغداد فحسب ، بل عن العراق ومدنه وعشائره وادبرته ومساجده ، والى غير ذلك من الامور العمرانية والحضارية والثقافية والاجتماعية والسياسية والجغرافية والاقتصادية ، وان ظهر بعض التركيز على مدينة بغداد .

اعتمد الالوسي في تاليفه على مصادر عديدة منها : كتاب الخطيب البغدادي وابن عايشه وابو القاسم الديلمي والماوردي (الاحكام السلطانية) وابو يوسف (الخراج) وياقوت الحموي (المعجم) ، وابن قتيبة (المعارف) والثعالبي (ثمار القلوب) والصغاني والزبيدي (تاج العروس) وابن جبير وابن حوقل والسمعاني والنويري وابن بطوطة والواقدي وغيرهم من المؤرخين والكتاب والجغرافيين ، مصرحا أنا باسماء كتبهم ، وأنا أخرى بذكر اسم المؤلف فقط . كما يذكر في بعض الاحيان روايات عن جده ، او يقول « قال بعضهم » ، كما يورد الكثير من الشعر لشعراء متقدمين ومتاخرين .

اما النص المتعلق بمدينة الحلة ، والذي نقوم بنشره والتعليق عليه ، فله اهميته الجغرافية والتاريخية والادبية ، ويعتبر وثيقة جغرافية من حيث انه يشير الى ظاهرة تحول نهر الفرات عن مجراه في شط الحلة الى مجراه الحالي في شط

---

(١٢) المصدر السابق .
(١٤) المصدر السابق ص ١٥٠ .
(١٥) الاعلام ، ج ٨ ص ٤٩ .
(١٦) علي الخاقاني : مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة . القسم الاول . مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٦١ ص ٤٠ .
(١٧) عباس العزاوي : عشائر العراق . الجزء الاول . بغداد ١٩٣٧ ص ١٧ .
(١٨) فهرس دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٣٨ . ج ٨ ص ٢٢٥ .
(١٩) مديرية الاثار العامة : فهرست المخطوطات المصورة في العراق . بغداد ١٩٦٨ ص ١٦ . زاهدة ابراهيم : فهرست المخطوطات العربية المصورة في العراق والموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد . ١٩٧٠ (رونيو) .
(٢٠) كوركيس عواد : فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس المهداة الى جامعة الحكمة ببغداد . بغداد ١٩٦٦ ص ٨٢ .

الهندية ، وهو آخر تحول له وما تبعه من تاثير على مراكز الحضارة والعمران حتى آل الامر « الى ان بيست النخيل والاشجار واستولى الخراب على الكورة باجمعها واضطربت احوال السكنة والاهالي ونفرق اهل الريف الى مواضع ليسدوا افواه حوانجهم واستولى الفقر وعمت الحاجة » ... الى آخر الوصف الذي اورده الالوسي .

كما انه وثيقة تاريخية ، حيث يؤرخ فيه لحادثة جد مهمة الا وهي تحول نهر الفرات عن مجراه وبناء سد الهندية (قبل بناء السدة) مع ذكر ولاة الامور كالسلطان عبدالحميد الثاني ، ووالي بغداد آنذاك سري باشا .

وهو وثيقة ادبية من حيث كونه يعكس الاسلوب الادبي لكتاب وادباء ذلك العصر (نهاية العهد العثماني) ، كما حفظ لنا مجموعة طريفة من شعر المناسبات لشعراء عديدين .

بدا النص بما كتبه ياقوت الحموي في معجم البلدان عن مدينة الحلة وعمرانها ، ثم ينقل ما كتبه صاحب تاج العروس وابن جبير في رحلته وابن بطوطة . ويذكر بعد ذلك انقطاع مياه الفرات وتحوله الى شط الهندية ، ويورد الرسالة التي رفعها اهل الحلة الى ولاة الامور ، ثم يتحدث عن سد الهندية وما قيل فيه من الشعر ، ويعرج الى ذكر خطبة مفتي الحلة السيد مصطفى نورالدين الواعظ في حفل افتتاح السد الفاطس من قبل الوالي سري باشا على عهد السلطان عبدالحميد الثاني ، ويذكر له شعرا بالمناسبة ولغيره من الادباء كالشيخ محمد باقر الطباطبائي والشيخ محسن وعباس وحسين العلاوي ، وغيرهم ، ثم ينقل ما كتب على صخرة فيها تاريخ اكمال السد . واخيرا يشير الى تصدع السد الفاطس وارسال المهندسين لاصلاحه ، مما دعا اخيرا الى ضرورة انشاء سدة الهندية .

* * *

النص

[الحِلّة بالكسر ثم التشديد ، وهو في اللغة القوم النزول وفيهم كثرة قال الأعشى :

لقد كان في شيبان لو كنت عالما
قباب وحيّ حلّة وذراهم(١)

والحلّة ايضا شجرة شاكة اصغر من العوسج قال :

يأكل من خصب سيال وسلم
وحلّة لما يوطئها النعم(٢)

والحلّة علم لعدة مواضع واشهرها حلّة بني مزيد مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين طولها سبع وستون درجة وسدس وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ، تعديل نهارها خمس عشرة درجة ، واطول نهارها اربع عشرة ساعة وربع ، وكان اول من عمّرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي(٣) ، وكانت منازل آبائه في الدور من النيل فلما قوى امره واشتد ازره وكثرت امواله لاشتغال الملوك السلجوقية بركياروق ومحمد وسنجر اولاد ملك شاه الب ارسلان(٤) بما تواتر بينهم من الحروب انتقل الى الجامعين موضع في غربي الفرات(٥) ليبعد عن الطالب وذلك في محرم سنة خمس وتسعين واربعمائة وكانت اجمة تأوي اليها السباع فنزل بها باهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وتأنق اصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق واحسنها مدة حياة سيف الدولة فلما قتل بقيت على عمارتها فهي اليوم قصبة تلك الكورة(٦) وللشعراء فيها اشعار كثيرة منها قول

---

(١) في اللسان لابن منظور (المجلد الحادي عشر . بيروت ١٩٥٦) « والحلة القوم النزول اسم للجمع وفي التهذيب قوم نزول ، وقال الاعشى :
لقد كان في شيبان لو كنت عالما
قباب وحي حلة وقبائل
وحي حلة اي نزول وفيهم كثرة » ص ١٦٤ .. « والحلة : هيئة الحلول ، والحلة جماعة بيوت الناس لانها تحل ، قال كراع : هي مائة بيت والجمع حلال » ص ١٦٥ ... « والحلة : مصدر قولك حل الهدي ، وقوله تعالى : حتى يبلغ الهدي محله ، قيل محل من كان حاجا يوم النحر ومحل من كان معتمرا يوم يدخل مكة » ص ١٦٦ .

(٢) في تاج العروس للزبيدي (المجلد السابع . بيروت) « وقال ابو حنيفة هي شجرة شاكة اصغر من العوسجة الا انها انعم ولا ثمر لها ولها ورق صغار وهي مرعى صدق ومنابتها غلظ الارض وهي كثيرة في منابتها وقال في وصف بعير يأكل من خصب سيال وسلم وحلة لما يوطئها النعم » ص ٣٨٣ .

(٣) ترجم له ابن خلكان في وفيات الاعيان ، الجزء الثاني ، الجزء الثاني ، طبعة القاهرة ، ما نصه « ابو الحسن صدقة الملقب سيف الدولة فخرالدين بن بهاء الدولة ابي كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي الناشري ، صاحب الحلة السيفية ، كان يقال له ملك العرب وكان له باس وسطوة وهيبة ، ناصر السلطان محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي، وافضت الحال الى الحرب فتلاقيا عند النعمانية ، وقتل الامير صدقة المذكور في المعركة يوم الجمعة سلخ جمادي الاخرة » ص ١٨٢ ـ ١٨٣ . وقد اختلف المؤرخون في مسالة تعمير او بناء الحلة من قبله ، واشار الى ذلك باسهاب الدكتور عبدالجبار ناجي في كتاب الامارة المزيدية ، وقال بان السبق في اظهار مثل هذه التناقضات يعود الى الاستاذ جورج مقدسي في مقالة نشرها عام ١٩٥٤ وهي :
G. Makdisi: Notes on Hilla and Mazyadids in Medieval Islam. Journal of the American Oriental Society, 1954, pp. 249—262.

(٤) عن الدولة السلجوقية وسلاطينها انظر ، صدرالدين الحسيني : اخبار الدولة السلجوقية . لاهور ١٩٣٣ . البنداري الاصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق . مصر ١٩٤٥ . د. عبدالمنعم محمد حسنين : سلاجقة ايران والعراق . مصر ١٩٥٩ . د. حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي . بغداد ١٩٦٥ .
A.K.S. Lambton: The Internal Structure of the Saljuq Empire, Cambridge History of Persia. Vol. 5, 1968.

(٥) يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان (ج ٢ ، ص ٩٦) « الجامعين : كذا يقولونه بلفظ الجرور المثنى هو حلة بني مزيد التي بارض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة وهي الان مدينة كبيرة آهلة » وكذلك اوردها الاصطخري في كتاب الاقاليم وصاحب كتاب Hudud al-Alam بينما اوردها ابن حوقل في كتاب صورة الارض هكذا « الجامعان » وقد اختلف المؤرخون في تعيين موضع الجامعين فهناك من ذهب الى انه يقع على الجانب الغربي من الفرات كياقوت الحموي . وقال آخرون بانه يقع في الجانب الشرقي منه . انظر : الدكتور عبدالجبار ناجي ، الامارة المزيدية ، دراسة في وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي . البصرة ١٩٧٠ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ . وبالرغم من ذلك فان هناك في الطرف الجنوبي من الجانب الغربي لمدينة الحلة محلة تحمل اسم الجامعين وهي من القدم المناطق فيها . انظر : صباح محمود الحلي : مدينة الحلة الكبرى وظائفها وعلاقاتها الاقليمية . رسالة ماجستير من جامعة بغداد ١٩٧٣ ص ٢٩ .

(٦) الكورة : في لسان العرب لابن منظور عن الجوهري : الكورة المدينة والصقع والجمع كور ... قال ابن دريد

ابراهيم بن عثمان الغزي(٧) وكان قدمها فلم يحمدها :

انا في الحلّة الغداة كأني
علويٌّ في قبضة الحجاج
بين عرب لا يعرفون كلاما
طبعهم خارج عن المنهاج
وصدور لا يشرحون صدوراً
شغلتهم عنها صدور الدجاج
والمليك الذي يخاطبه الناس
بسيف ماض وفخر وتاج
ما له ناصح ولا يعلم الغيب
وقد طال في مقامي لجاجي

قصة ما وجدت غير ابن فخر الـ
ـدين طبّا لها لطيف العلاج
واذا سلطت صروف الليالي
كسرت صخر تدمر بالزجاج

والحلة ايضا حلّة بني قيلة بشارع ميسان بين واسط والبصرة والحلة ايضا حلّة بني دبيس ابن عفيف الاسدي قريب(٨) الحويزة من ميسان بين واسط والبصرة والاهوار في موضع آخر](٩)

والحلة الى اليوم مدينة عامرة ذات اسواق ومساجد كثيرة وبساتين زاهية ونخيل واشجار متنوعة وارضها اخصب ارض وخيراتها طافحة واهلها اهل فطنة وذكاء وشرف نفس وسخاء ، كم نشأ فيها علماء اعلام وادباء كرام وشعراء مفلقون وبلغاء متفننون وهي على ضفة الفرات من الجانبين يصل بينهما جسر على سفن يعبر عليه الناس وغالب سكنتها من الشيعة الامامية(١٠) ، ومن الفرات تخرج أنهر كثيرة يزرع عليها أهل تلك النواحي الرز وكثير من الحبوب ، والرز يحتاج مياه غزيرة ربما لا تقوم به تلك الانهر فتمس حاجة الزراع الى سد الفرات ليفيض ماؤه على زرعهم فلم يزالوا يفعلون ذلك حتى جزر الماء عن مجرى الفرات من أعلى الحلة واسفلها وتوسعت صدور الانهار التي في أعلى الحلة لاسيما صدر الهندية الذي سنذكره . فانقطع الماء عن الحلة(١١) وما سفل

لا احسبه عربيا . المجلد الخامس . بيروت ١٩٥٦ ص ١٥٦ . وذكر ياقوت في معجم البلدان « واما الكورة فقد ذكر حمزة الاصفهاني : الكورة اسم فارسي يحت يقع على قسم من اقسام الاستان وقد استعملتها العرب وجعلتها اسما للاستان . كما استعارت الاقليم من اليونانيين فجعلته اسما للكشخر ، فالكورة والاستان واحد . وقلت انا : الكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة او مدينة أو نهر يجمع اسمها » المجلد الاول . بيروت ١٩٥٥ ص ٣٦-٣٧ ومن الجدير بالذكر ان ياقوتا قد افرد لهذه المصطلحات الباب الثالث من المجلد الاول لـ « تفسير الالفاظ التي يتكرر ذكرها في هذا الكتاب » المجلد الاول ص ٣٥-٣) .

وفي الواقع ان مصطلحات الكور والمدن والمنابر والقرى والطسوج والدساكر والاقاليم والممالك والخزائن وغير ذلك ، قد اختلف الجغرافيون والكتاب العرب في تحديدها ، فمنهم من يستعمل بعض المصطلحات مرادفة للاخرى ، بينما تختلف عند البعض الاخرى . انظر في ذلك دراسات الدكتور صالح احمد العلي وخاصة دراسته عن « تقسيمات خراسان الادارية في العهود الاسلامية الاولى » مجلة كلية الاداب . جامعة بغداد . العدد الرابع عشر . المجلد الثاني ١٩٧٠ — ١٩٧١ ص ٧٧٢ — ٨٢٦ . ودراسته عن « ادارة خراسان في العهود الاسلامية الاولى » في مجلة كلية الاداب العدد الخامس عشر ١٩٧٢ ص ٢١١ — ٢٤٢ . وقد القى ضوءا واضحا على « مشكلة المصطلحات » هذه . وتغلب الكتاب المحدثين يرون بان الكورة تقابلها المحافظة والرستاق يقابله القضاء والطسوج تقابله الناحية ، انظر : احمد علي الصوفي : ارض السواد . الموصل ١٩٥٥ .

(٧) هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن محمد الكلبي الاشهبي الغزي ، من اهل غزة بفلسطين ، ولد بها عام ٤٤١هـ ورحل الى دمشق والعراق وخراسان يمدح آل بويه وغيرهم . توفي بخراسان ودفن ببلخ عام ٥٢٤هـ . شاعر مجيد ذكر له صاحب وفيات الاعيان ابياتا جميلة من شعره . انظر : وفيات الاعيان ، ج ١ ص ٤١ — ٤٥ . الاعلام للزركلي ، ج ١ ص ٤٤ ، آداب اللغة العربية لزيدان ، ج ٣ ص ٢٨ .

(٨) في معجم البلدان وردت « قرب » .

(٩) بين [ ] ما اورده الآلوسي بالنص عن ياقوت الحموي في معجم البلدان ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٢٩٢ — ٢٩٥ .

(١٠) يقول ابن بطوطة في رحلته تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، في اثناء حديثه عن مدينة الحلة « واهل هذه المدينة كلها امامية اثنا عشرية » . انظر :
Voyages dibn battuta, Par C. Defremery ETLE B.R. San Guinetti, editions anthropos, Paris 1969, Tome I, p. 97.

(١١) لم يتخذ نهر الفرات له مجرى واحدا خلال حقب التاريخ المختلفة ، ففي عهد السومريين والاكديين (حوالي الالف الثالث ق.م) كان يتخذ له مجرى في نهر كوثى القديم ثم تحول على عهد البابليين (بين الالف الثاني ق.م وحوالي القرن السادس الميلادي) الى مجرى بابل القديم الذي يمثله شط الحلة الحالي ، بينما تحول في العهد العربي (القرن التاسع الميلادي — القرن الثالث عشر الميلادي) الى مجرى بالاكوباس القديم الذي يمثله شط الهندية ، واتخذ له في عهد الاتراك (القرن الرابع عشر الميلادي — اواخر القرن التاسع عشر الميلادي) نهر بابل القديم (اي شط الحلة الحالي) مجرى له ، حتى تحول في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي الى المجرى الحالي (مجرى بالاكوباس القديم او شط الهندية

عنها في فصل الصيف فكانوا يحفرون الآبار في مجرى الفرات لشربهم فقط واما البساتين فلا ريّ لها ايام الحاجة الى الماء حتى آل الامر الى ان يبست النخيل والاشجار واستولى الخراب(١٢) على الكورة بأجمعها واضطربت اوحال السكنة والاهالي . وتفرق اهل الريف الى مواضع ليستدوا أفواه حوائجهم واستولى الفقر وعمت الحاجة غالبهم وفزع من سوء العاقبة عقلاؤهم(١٣) وعرفاؤهم ؛ وضج شعراؤهم بالشكوى من هذا الحادث ، ولا يسع هذا المقام لذكر ما قالوه من الشعر والنثر الذي قدموه الى اولياء امورهم ، من ذلك رسالة كتبها بعضهم الى وليّ الامر يومئذ يذكر ما دهمهم من البلاء وهذا نصها :

ايد الله امير المؤمنين ، وخلد دولته بالعز والتمكين ، وبعد فاني ابث اليه الشكوى عن لسان كافة اهل وطني الحلة الفيحاء ، فأقول من المعلوم لدى اهل البصيرة والبصر ، ما كان عليه اهل هذه النواحي من الثروة والخصب والرخاء ما يغبطهم عليه كثير من اهل البلاد وأقلهم مالا من كان يضيف كل ليلة من الضيوف ، ما يعجز عن قراهم اثرى الناس في بلاد اخرى مع انشراح صدر وسرور قلب ، ولما جرى على اموالهم وعقارهم وحقولهم ونخيلهم ما جرى بسبب اختلال مجرى الفرات اصبح اغناهم واثراهم يتكفف ايدي الناس ويقتات بالحشف البالي من التمر ، وترملت نساؤهم ويتمت اولادهم وتفرق رجالهم في نواحي الارض أيادي سبأ ، وأقرعت ساحتهم وكلما شكونا لا نجد لشكوانا من سامع ولا شك ان وليّ الامر هو المسئول بين يدي الله عن احوال رعاياه ، وبناء على ذلك تجاسرنا على بيان الحال حيث الحت علينا السنون راجين دفع ضرورتنا واصلاح بلادنا وتلافي ما فات منا : وما ذلك على وليّ الامر بعزيز ونسأله تعالى ان يمده بالعون والتوفيق . ثم لما تواترت الشكايات ورد المهندسون(١٤) من الافرنج وتظافرت آراؤهم على سد صدر الهندية واحكامه على ما سنفصله اكمل تفصيل .

سد الهندية

وما قيل فيه من الشعر

اعلم اولا ان نهر الفرات يتكون من نهرين احدهما يسميه الاتراك قره صو اي الماء الاسود ، يجري من جبل يقال له غدير دوملي من نواحي ارزن الروم والثاني يجتمع من مياه ترد من جبل في جوار ديارين من نواحي بلدة بايزيد في ايالة(١٥) ارضروم ، ومن مياه تجري من جبل يقال له بيك كول اي الف غدير ، ثم يختلط النهران في محل مجاور معدن كبان من نواحي معمورة العزيز ، ومن ملتقى النهرين يسمى النهر حينئذ نهر الفرات فيجري الى محل

الحالي) . وكان لهذه التغيرات في مجرى الفرات الاثر الكبير في ازدهار او انحطاط مراكز العمران والحضارة فيه . انظر : د. احمد سوسة : وادي الفرات ومشروع سدة الهندية . الجزء الثاني . بغداد ١٩٤٥ ص ١٦٠ ـ ٢٨٤ . ود. ابراهيم شريف : الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي . الجزء الاول . مطبعة شفيق . بغداد .

ان هذا التحول الذي يتحدث عنه الآلوسي قد ظهرت بوادره منذ فترة ليست بالقصيرة وقد اتخذت الاجراءات لايقافه والتي انتهت بانشاء سدة الهندية . ويذكر الكتاب والمؤرخون بان من العوامل التي لعبت دورا في هذا التحول ، مشروع اصف الدولة وزير محمد شاه الهندي في اواخر القرن الثامن عشر لايصال المياه الى مدينة النجف وذلك بشق جدول عرف بجدول الهندية ، وكذلك حادثة سد جدول الصقلاوية في زمن مدحت باشا ، بحيث ان نهر الفرات (مجرى الحلة) لم يستطع استيعاب المياه التي اضيفت اليه بعد سد جدول الصقلاوية مما ادى الى تحوله الى جهة شط الهندية . انظر : وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، مصدر سبق ذكره ص ٢٦١ ـ ٢٦٧ ، ومصطفى نورالدين الواعظ : الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر . الموصل ١٩٤٨ ص ١٩٩ .

(١٢) في الاصل : الحراب .

(١٣) في الاصل : وعقلائهم .

(١٤) استقدمت الدولة العثمانية عن طريق سفارتها في باريس المهندس M.S. Schoenderfer ومعاونه الى بغداد ، واجريا الكشف اللازم لمجرى نهر الفرات ومروره نحو الهندية والحلة ، ونظما خارطة وتقريرا بذلك . انظر : عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين . الجزء الثامن ص ١٠٠ و ج.ج.لوريمر : دليل الخليج . القسم التاريخي ، ج ٤ . قطر ١٩٦٧ ص ٢٢٩١ . والقسم الجغرافي . ج ٢ . بيروت ١٩٧٠ ص ١٠٩٢ .

(١٥) ايالة او ايالت بالتركية : كل مقاطعة تكون تحت حكم والٍ عثماني ، وهي تمثل احدى ولايات الدولة . وفي الفترات الاخيرة من الحكم العثماني اقتصر استعمالها على المقاطعات الاجنبية التابعة للدولة العثمانية . انظر : شمس الدين سامي ، قاموس تركي (باللغة التركية) ، الناشر احمد جودت . القاهرة مطبعة سنة ١٣١٧ ، ص ٢٢٣ . وكانت البلاد العثمانية تقسم من الناحية الادارية والعسكرية الى ايالات والايالات الى الوية اي سناجق وكل لواء من الالوية يضم مقدارا من التيمارات (مقاطعات صغيرة) والزعامات (المقاطعات المتوسطة) . ويتولى شؤون الايالة باشا يسمى بكلر بكي اي بك البكوات ويعتبر بمرتبة مير ميران اي امير الامراء . ويتولى شؤون اللواء بك يسمى سنجق بكي اي بك اللواء ويعتبر بمرتبة مير لوا اي امير اللواء . انظر : ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . بيروت ١٩٦٥ ص ٢٠ .

قريب من ملاطية ثم يجري الى الشرق الى ان يقرب من منبع دجلة ثم يجري الى الجهة اليمنى من ديار بكر ثم ينعطف الى جهة الغرب ايضا ثم يعود الى الشرق فيمر على بيرة والمسكنة والرقة(١٦) ثم يجري وسط بلد الدير ثم الى القائم ثم الى عانات وجبة وآلوس والحديثة وهيت والدليم والفلوجة ثم الى المسيب(١٧) ، فاذا وصل الى صدر نهر الهندية انقسم الى قسمين ، قسم يجري الى الحلة فالديوانية وقسم الى الهندية فالشامية ثم يتلاقى القسمان قرب السماوة ، وكان هذا النهر سنة اثنتين بعد الثلاثمائة والالف جرى كله الى نهر الهندية وتحول مجراه وانقطع عن الجرى الى الحلة ونواحيها وكادت هذه البلاد تفنى وتخرب بسبب انقطاع المياه عنها فعرضوا الحال الى السلطان فارسل المهندسين فاستقر الراي على حفر مجرى آخر عن المسيب نحو فرسخ صدره نحو الف ذراع افرنجي طولا ومائة ذراع عرضا وانشاء سد عظيم على فم نهر الهندية(١٨) ، فبوشر بالعمل وكان الختام سنة ثمان بعد الثلاثمائة والالف ، فجرى نهر الفرات الى الحلة والديوانية (كما كان)(١٩) في السابق وصرف على ذلك مبالغ كبيرة تزيد على مائة الف ليرة عثمانية فعند ذلك عادت هذه البلاد الى ما كانت عليه من الري والخصب وكان يوم جريان الماء يوما مذكورا حضر هناك والي بغداد وأكابر بغداد والحلة وسفراء الدول وقام يومئذ مفتي الحلة(٢٠) خطيبا وداعيا بهذا الدعاء وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله على ما انعم وصلى الله على النبي وآله وصحبه وسلم ، اما بعد فان افضل الاشياء اعاليها واعلى الرجال ملوكها وافضل الملوك اعمها نفعا ، الا ان لكل شيء حدا (ولكل امر غاية) وامدا(٢١) وان مع العسر يسرا والساعات مرهونة بأوقاتها الا ان امير المؤمنين وامام المسلمين ونائب سيد المرسلين ، خلد الله سلطنته واعلى كلمته ، لما عرضتم (بأهل الحلة)(٢٢) على اعتابه الملوكية وابوابه الخاقانية ما حل بكم من هذه الداهية الموجعة والبلية المفجعة ، وهي انحسار ماء الفرات عن بلادكم وانصبابه نحو نهر الهندية فاصبح ماؤكم غورا وغدا حلو عيشكم مرا (واضحت ارافيكم)(٢٣) بعد الخصب قفرا وتعطلت انهاركم (واظلم نهاركم)(٢٤) ويبست اشجاركم وذوت ثماركم (وعاد غناكم فقرا)(٢٥) وتبدد شملكم (وغاض نيلكم)(٢٦) وتفرقت أيادي سبأ عشائركم وآيستم من وجه الخلاص ولات حين مناص ، وزاغت الابصار وتحيرت البصائر (وشطت بكم الدار)(٢٧) وبلغت القلوب الحناجر وظننتم ان لا ملجأ من الله الا اليه ، وطارت الالباب وتقطعت بكم الاسباب ، فتداركتكم الالطاف الالهية وادركتكم العواطف (الحميدية)(٢٨) واجاب (الملك)(٢٩) الاقوم و (الامام)(٣٠) الاعظم ، بالنص القاطع المحكم نداكم وسمع لطفا منه شكواكم ، فشملتكم مراحمه وعمتكم مكارمه ، فاصطفى ايده الله تعالى

---

(١٦) قرى ومدن سورية تقع على نهر الفرات في مجراه في سوريا .

(١٧) قرى ومدن عراقية تقع على نهر الفرات في مجراه في العراق .

(١٨) سد الهندية : هو السد القاطع الذي انشا في صدر فرع الهندية قبل انشاء سدة الهندية لغرض رفع مستوى المياه في مقدم السد لتامين تجهيز المياه الى شط الحلة الذي اخذت مياهه تتجه الى شط الهندية ، وقد جرى افتتاحه في ١١ ربيع الاول عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) .

(١٩) في الاصل : كعان .

(٢٠) هو السيد مصطفى نورالدين الواعظ . ولد في باب الشيخ عاشر ربيع الاول عام ١٢٦٣هـ (١٨٤٤م) اخذ العلوم عن والده وافاضل علماء عصره كالسيد عبدالرزاق الفندي والسيد عبدالرحمن الفندي وغيرهم . وعظ وخطب في جوامع بغداد وعين مدرسا في المدرسة الخاتونية وفي جوامع البصرة ، كما شغل في البصرة عضوية محكمة التمييز ورئيسا لمحكمة الجزاء ، كما عين مفتيا للحلة والديوانية ، واسندت اليه وكالة المتصرفية في الديوانية بعد عزل سليمان فائق ، وانتخب عنها نائبا وحضر افتتاح البرلمان في الاستانة . اصيب في عام ١٣٣١هـ بسداء الاستسقاء وتوفي ٢٣ جمادى الثاني من نفس العام . انظر ترجمته بقلمه كتابه : الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر . الموصل ١٩٤٨ ص ١٥٨ وما بعدها . وانظر : عباس العزاوي : تاريخ العراق ، مصدر سبق ذكره ، ج ٨ ص ١٠٤ . له تاليف وتصانيف قيمة منها ، الارشاد لمن انكر النبوة والمعاد ، والروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر ، الذي عني بتدقيقه ونشره السيد ابراهيم الواعظ ، وخلاصة المقال في شد الرحال ، وزهر الربى في حرمة الربا ، والمطالب المنيفة في الذب عن الامام ابي حنيفة . انظر كوركيس عواد : معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين . بغداد ١٩٦٩ ، المجلد الثالث ص ٢١١ . وقد ذكر في الروض الازهر الذي سبق ذكره ، تاليفه وتصانيفه تفصيلا . وقد نقلنا نص الخطبة هذه من كتاب الروض الازهر ، ونشرنا الى زيادات واسقاطات الالوسي منها .

(٢١) زاد الالوسي (ولكل شيء غاية) .

(٢٢) اسقطها الالوسي .

(٢٣) عند الالوسي (واصبحت ارضكم) .

(٢٤) اسقطها الالوسي .

(٢٥) اسقطها الالوسي .

(٢٦) اسقطها الالوسي وذكر محلها (وتشتت جمعكم) .

(٢٧) اسقطها الالوسي .

(٢٨) عند الالوسي (السلطانية) .

(٢٩) عند الالوسي (ملكنا) .

(٣٠) عند الالوسي (امامنا) .

بنصره لهذه المهمة وكشف هذه الغمة المدلهمة وزيره الصادق في خدمته ، الامين على اسرار دولته ، ذا الهمم الاسكندرية والعزمات الاصفيه والمساعي المشكورة والاعمال المبرورة والمآثر المشهورة والاقوال المقرونة بصحيح الافعال والي العراق (صاحب الدولة)(٣١) سري باشا(٣٢) يسر الله له من الخير ما يشاء فقام شكر الله (تعالى)(٣٣) سعيه على قدم الاجتهاد بحزمه وشمر عن ساعد الجد بقوة عزمه ، ووثب وثبة الليث الهصور بحكمته وسديد حكمه وانتصب لاحكام السد ونصب نفسه لاعادة مجرى الفرات بالرسم والحد واجرى العمليات على قانون الفنون الهندسية بمقتضى القواعد الصناعية واهتم لحفر الخليج الجديد اتم اهتمام واحكم امر السد اي احكام وفي هذا اليوم المبارك السعيد قد جرى ماء الحياة ولله الحمد والمنة في نهركم وسارت سفن النجاة في فراتكم (الذي هو سبب حياتكم)(٣٤) وعما قليل ان شاء الله تعالى يتم (العمل وينال الامل باكمال السد ولله الامر من قبل ومن بعد)(٣٥) فترون الحلة الفيحاء روضة عاد قشيب شبابها وتاهت في حلل البهاء عجبا على اترابها ، تسلسلت انهارها واضاء نهارها والتفت اشجارها وايتعت ثمارها وغرد شحرورها واشرقت بدورها وزها نوارها وازدهت انوارها (وازدهرت ازهارها)(٣٦) وغنت طربا اطيارها (وشمخت رفعة قصورها)(٣٧) واغتنى فقيرها (واطلق اسيرها)(٣٨) وامتلات حياضها وتدفقت (وانقت رياضها)(٣٩) وفاح شقيقها وعذب رحيقها (وارتوت آصالها واغدقت نخيلها)(٤٠) وحيي ميت رسومها بعد ان عفتها عواصف الحدثان ورمتها ايدي النوائب بالحرمان ، فاشكروا الله (تعالى)(٤١) يا اهل الحلة على هذه النعمة يزدكم واحمدوه على هذه المنحة ينلكم واتقوه وراقبوه واخشوه ولا تكفرون ، قيدوا هذه النعم بسلاسل الشكر في السر و (العلن)(٤٢) ، ولا تتعرضوا لزوالها بالبغي والعدوان ، واياكم والكفران فانه والعياذ بالله (تعالى)(٤٣) موجب للخذلان ، بادروا بالعمران ، فانه قريب من الهمة بعيد من الاهمال واصلحوا منكم الاعمال فطهروا انهاركم واحفروا جداولكم وابتهلوا اليه سبحانه بالدعاء (ببقاء دولة حضرة)(٤٤) السلطان (نصره الرحمن)(٤٥) فقد قال نبيكم صلى الله (تعالى)(٤٦) عليه وسلم : (لم يشكر الله من لم يشكر الناس)(٤٧) وقال عليه الصلوة والسلام : من اسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له ، فها نحن نبسط راحاتنا بالتضرع والدعاء الى باسط الارض ورافع السماء فنقول : نحمدك اللهم حمدا لا يقدر له حداً ونشكرك يا الهي شكرا لا نحصيه عداً ، انت مبدع الخلق ومنشيه وخالق الماء ومجريه خلقت بقدرتك الملك والملك ، وسيرت بحكمتك الفلك والفلك ، فيا واهب العطية ويا ذا الالطاف الخفية ، يامن لا يخيب من سأله ولا يرد رجاء من امله نسألك بجلال وجهك وعظيم سلطانك ومجدك ، لا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ، ان تصلي وتسلم على سيدنا محمد علة الوجود والسبب الباحث لكل موجود ، صفيك الذي نبأته وآدم بين الماء والطين وحبيك الذي ارسلته للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين(٤٨) وان تؤيد بالنصر والفتوح دولة خليفة الله في خليقته وظله الظليل على بريته بدر سماء الخلافة الكبرى وشمس فلك الامامة العظمى القائم على ذروة منبر السلطنة السنية والجالس على السجاده النبوية في محراب النيابة المصطفوية ، الملك المظفر المطاع والامام الواجب الاتباع ، من الزم الله تعالى الرقاب بيعته

---

(٣١) اسقطها الالوسي .

(٣٢) تولى سري باشا ولاية بغداد للفترة ١٨٨٩ – ١٨٩٠م بعد الوالي مصطفى عاصم باشا . اصله من مدينة قندية في جزيرة كريت ، وهو ابن حلواجي زادة صالح القندي . ولد سنة ١٢٦٠هـ . وتقلد مناصب عديدة منها رئاسة الكتاب (المكتوبية) ثم صار متصرفا فواليا لعدة ولايات حتى ولي بغداد . وقد شجع العلماء والادباء لانه كان اديبا عالما فاضلا « عالي الهمة ، كامل الفصاحة ، سديد الراي ، صائب التدبير » وقد الف الكثير من التصانيف والتاليف في الفقه والشريعة والتفسير منها : نقد الكلام في عقائد الاسلام ، وسر قرآن ، واحسن القصص ، وغيرها . وفي عام ١٣٠٨هـ نقل الى ديار بكر وتوفي في ٢٤ جمادي الاخرة عام ١٣١٢هـ . انظر : عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين . ج ٨ بغداد ١٩٥٦ ص ٩٩ و ص ١١١ – ١١٢ .

(٣٣) اسقطها الالوسي .

(٣٤) اسقطها الالوسي .

(٣٥) عند الالوسي (يتم عمل السد الذي ليس له نظير قبل ولا بعد) .

(٣٦) اسقطها الالوسي .

(٣٧) عند الالوسي (وعادت قصورها) .

(٣٨) اسقطها الالوسي .

(٣٩) عند الالوسي : (وازهرت رياضها) .

(٤٠) عند الالوسي : (وشمخ نخيلها وارتوى اصالها) .

(٤١) اسقطها الالوسي .

(٤٢) عند الالوسي : (الاعلان) .

(٤٣) اسقطها الالوسي .

(٤٤) عند الالوسي : (بدوام دولة السلطان) .

(٤٥) و (٤٦) : اسقطها الالوسي .

(٤٧) عند الالوسي : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) .

(٤٨) وزاد الالوسي : (واصحابه الغر الميامين) .

وأوجب سبحانه متابعته بالنص القاطع والاجماع ، الامير الاقوم (والشاهنشاه الاعظم)(٤٩) والخاقان(٥٠) الافخم ، مالك رقاب الامم وسلطان العرب والترك والعجم ، كاسر الاكاسرة ، وقاصم القياصرة)(٥١) وامير المؤمنين (وامام المسلمين)(٥٢) وسلطان الموحدين ، صاحب الفتوحات والمغازي ، السلطان الغازي عبدالحميد خان بن السلطان (المبرور)(٥٣) الغازي عبدالمجيد خان(٥٤) لازالت (قباب سلطنته مرفوعة العماد)(٥٥) وسرادقات دولته ركينة الاوتاد ، واعانه في كل الامور رب العباد ، اللهم كن له ناصرا وظهيرا ومعينا ، وان تجعله على عرش الخلافة وكرسي الامامة ابد الدهر مكينا ، ومظهرا لقولك الكريم (في كتابه القديم)(٥٦) (انا فتحنا لك فتحا مبينا)(٥٧) اللهم (بارك)(٥٨) في امد عمره ودولته واخلافه الكرام ، وصادقيه من رجال دولته ووزرائه الاجلة العظام لاسيما الوالي العالي المكرم ، والوزير (الافخم)(٥٩) مروج سوق العلم والعرفان ، ومحي آثار الفضل والاحسان ، ومشيد اركان الامن والامان ، المعمّر ما إندرس من الآثار ، والقامع بعدله من بغي وجار ، المحفوف بصنوف عواطف الملك العلي الاعلى صاحب الدولة ا حضرة)(٦٠) سري باشا زادالله (تعالى)(٦١) قلبه نورا وجسمه انتعاشا وجعل سعيه مشكورا وعمله مبرورا ، وحظّه في الدارين موفورا ، وجزاه عن المسلمين مولاه خيرا(٦٢) . ووقاه ضرا وشرا وضيرا ، ولقاه نضرة وسرورا اللهم لا ترد دعائنا ، ولا تخيب رجائنا ، واختم بالصالحات اعمالنا واصلح ولاة امورنا ووفقهم لفعل الخيرات وعمل المبرات (بحرمة النبي الامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين)(٦٣) .

ثم توالت التهاني نظما ونثرا للوالي الذي تولى ذلك السد ، منها ما قلته عن لساني وعن بعض الاقارب وهو :

بسديد الراي قد احكمت سدا
وبه انجزت للآمال عدا
وبعون الله قد شيدته
وبه خلدت للسلطان مجدا
وفرات الماء قد عاد كما
كان في السابق يجري مستبدا
وسقى البطحاء عذبا سائغا
وحبى الفيحاء بعد الجزر مدا
ذاك اسنى نعم الله التي
نحن لا نحصي لها شكرا وحمدا
دمت للدولة عينا ويدا
يا شبيه البحر افضالا ورفدا

ومنها ما قاله الفاضل والعالم الكامل الشيخ

---

(٤٩) اسقطها الآلوسي .

(٥٠) الخاقان : كلمة تركية ، وهي علم واسم لكل ملك من ملوك الترك والصين . انظر أدي شير : الالفاظ الفارسية المعربة . المطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٠٨ ص ٥٦ . ويقال بانها كانت تطلق على ملوك تركستان فقط ثم انتشرت الى المناطق الاخرى انظر : محمد باشا متخلص به : فرهنك آنندراج (باللغة الفارسية) طهران ١٣٣٦ . ج ٢ ص ١٥٨١ . ويذكر بارتولد بأن هذا اللقب كان يطلق على حكام الشعوب القديمة التي تعرف بـ (تركا) ، وقد اخذوه عن اسلافهم الصينيين . انظر : الشنتناوي وجماعته ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثامن ، مادة خاقان ، ص ١٩٢ .

(٥١) و (٥٢) و (٥٣) : ساقطة عند الآلوسي .

(٥٤) هو السلطان العثماني عبدالحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد الاول ، ولد في استانبول في ٢١ ايلول عام ١٨٤٢ ، تولى السلطنة بعد اخيه مراد الرابع في ٣١ آب ١٨٧٦ . وقد خابت آمال مدحت باشا وجماعته من الاحرار الذين جاءوا بعبدالحميد الى السلطنة ، حيث ضاق هذا السلطان ذرعا بالحياة النيابية فقام بتعطيل مجلس المبعوثان وتعليق أحكام الدستور ، وفرض حكما استبداديا ظالما . وبسبب هذه الظروف الداخلية ومشاكل الدولة العثمانية الخارجية ، قامت جماعة الاتحاد والترقي بالثورة في عاشر تموز ١٩٠٨ ، فاعلن السلطان رضوخه لمطالبها في اعادة الدستور والحياة النيابية . وقد تطورت الاحداث الداخلية في الدولة العثمانية ، فحدثت حركة مضادة في نيسان عام ١٩٠٩ ضد الاتحاديين فقام جيش سلانيك بالقضاء على الحركة ودخل العاصمة وخلع السلطان عبدالحميد ، ونصب محله اخوه محمد رشاد باسم السلطان محمد الخامس . واقام عبدالحميد الثاني في سالونيكا ، ثم عاد الى استانبول عام ١٩١٢ ، وتوفي في Bosporus في عاشر شباط ١٩١٨ . انظر : Encyclopedia Britannica, Vol. 1, 1966, pp. 23—24 ارنست. ٢. رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ . ترجمة صالح احمد العلي . بيروت ١٩٦٠ . د. الموتلن : عبد الحميد ظل الله في الارض ، ترجمة راسم رشدي . القاهرة ١٩٥٠ .

(٥٥) عند الآلوسي : (لازالت سرادقات دولته ركينة الاوتاد وقباب سلطنته مرفوعة الى يوم التناد) .

(٥٦) ساقطة عند الآلوسي .

(٥٧) القرآن الكريم ، سورة الفتح آية رقم (١) .

(٥٨) عند الآلوسي : (وبارك له) .

(٥٩) عند الآلوسي : (المفخم) .

(٦٠) و (٦١) : ساقطة عند الآلوسي .

(٦٢) عند الآلوسي : (وجزاه عن المسلمين مولاه في اولاه واجزاه خيرا) .

(٦٣) عند الآلوسي : (والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين) .

عبدالوهاب افندي[٦٤] نائب قضاء بغداد انالـه الله تعالى من الخير كل مراد ، وذلك قوله : لما رأيت عرائس التهاني ترفل في اثواب المسرة مبشرة بنيل الاماني بجريان نهر الفرات ولا جريان نهر المجرة وقد صرفت الهمم العالية بتلك الربوع التي لاقت الاماني بعد اليأس وصادفت خضرة بعد انيبس وخشيت ان تطوى الصحائف وليس لي في ذلك نصيب مع ان لي والله الحمد سهما من تحرير هذه الصحيفة كأن يكون مصيبا فانشدت قائلا واجاب عيون الرضا سائلا مخاطبا لوزير الاعظم صاحب الدولة سري باشا المفخم فقلت ناظما ومخاطبا :

ايا مانحا قطر العراق الامانيـــا
وملبسهم برد العدالة ضافيا
بقيت وزيرا في العـــراق ووالـيا
لتشرب من عذب امتنانك صافيا
بهمتك العليا جرى البحر طافحـــا
فاروى فؤادا كان بالامس صاديا
ملم لقـــد اعيى الـــولاة دواؤه
وليس سواك اليوم طبا مداويا
سقيت ربوعـا قـد ذوت خير مترع
وقد ساءها داء الظلـــما متواليا
وكم قد دعت قدما سواك فلم تجب
وحامت على ورد فلم تلق ســـاقيا
فساءت ظنون خامرتهـا غوافـــل
واصبحت الاحشـاء منهم دواميا
عطفت عليهم لا عدمتـك راحمـــا
بفضل فاحييت القلوب الصواديا
فانـــت الفيحا برؤياك رشـــدها
ونال بك المحزون ما كان راجيـــا
لك العزم تستجلي بـه كل حالك
وبلغي اذا تنبوا القواضب ماضيـا
تدارك امرا كان قدما على شـــفا
فأصبحت من داء الحوادث شافيا
اذا استبقت اهل الكمـال لغايـــة
ابيت واهل المجد الا التناهيـــا
راك امـام العصـر دام بقائـــه
ودام به نـور الخلافـة باقيـــا
لدفع عضال قـد اضر دوامـــه
باتباعه يلقى الامـــور الدواهيـا
فصلت كما رام الامـــام مجاهدا
بعزم يدك الشامخات الرواســـيا
واسرعت في تنفيـذ واجب امـــره
على الفور لا وان ولا متراخيـــا
همام يرى الاشياء قبل وقوعهـا
بعين ترى مستقبل الامر ماضيـا
شكرناك في ســـعي تكامل نجمـــه
وهل تنكر الايـام تلك المســـاعيا
وقفت على الاسـلام نفســا كريمة
فكان لك الرحمن عونـا وكافيـــا
بقيت بقاء الدهـر يا خير حـــاكم
فلسنا نرى نعمـاك الا تواليـــا
يحق لنا اهل العـــراق بأســـرنا
نبث باخلاص القـــلوب التهانيـــا
جميع تولى الله تشـــييد امـــره
وهل يهدم المخـــلوق ما الله بانيـا
ولو لم يعقني عن مديحك شـــاغل
نظمت لعليـاك النجوم الســـواريا
فلازلت يا خـير الوزارة كامـــلا
ولا زلت ياتـاج الشـريعة باقيـا
ولا برحت اقمـار عـزك في ســـما
المفاخر تبدو مشـرقات زواهيـــا

---

(٦٤) هو عبدالوهاب افندي النائب بن الشيخ عبدالقادر افندي ابن الشيخ عبدالغني الصبيدي . ولد في محرم عـام ١٢٦٩هـ في محله الفضل ببغداد . قرأ القـرآن على المقرئين والمؤدبين ، وأجاد الترتيل والتجويد ، ودرس النحو والصرف والمنطق وغير ذلك من العلوم العربيـة والدينية على يد العلامة عبدالوهاب افندي الحجـازي مدرس مدرسة جامع منورة خاتون . واخذ يعقد مجالس الدرس والتدريس ، كما كان له مجلس شعر وأدب . وقام بالتدريس في مدرسة منورة خاتون ، واسس مدرسة التفيض ، وانيطت به مناصب عديدة منها ، امانـة الفتوى والنيابة الشرعية وعضوية مجلس الولاية ومجلس المعارف وغيرها . اصيب بداء السكر وتوفي في ٢٧ ذي الحجة عام ١٣٤٥هـ ودفن رحمه الله بجامع الفضل . لـه مؤلفات ومصنفات عديدة منها : المعارف في كشف مافيض من المواقف ، والقول الاكمل في شرح المطول ، ورساله في شرح ملحة الاعراب في النحو ، ومنظومة في علم المنطق وغير ذلك . انظر : محمد صالح آل السهروردي : لبا الالباب . الجزء الاول . مطبعة المعارف . بغداد ١٩٢٣ . وكله في ترجمته .

ومنها ما نظمه الاديب الفاضل الشيخ محمد باقر الطباطبائي(٦٥) وهو قوله :

بشرى لوالٍ عـــدم المثيـــلا
دام علينـــا ظـــله ظليـــلا
ابر والٍ كم نبيـــل لطفـــه
طوق اعنـــاق الـــورى جميـلا
قد عم آفـــاق العـــراق عـــدله
فلا ترى كســـرى لـــه عديـــلا
وخص اهـــل بابـــل بمنـــة
بها سقى الفيحـــاء سلسبيلا
احي بها الارض الموات ولـــكم
روى لاهليهـــا بهـــا غليـــلا
بها زهـــا الروض الانيق بعـدما
كاد يكـــون ربعهـــا محيـلا
طاول اسـكندر في سـدّ بـــه
اضحى على الـــولاة مستطيلا
سد رصين عـــادت الفيحـــا بـــه
مصرا كمـــا عاد الفـــرات نيـلا
سعى وقد ساعده حكم القضا
وهل ترى لحـــكمه تبـــديلا
ففاز في نيـل المنـى وغـــيره
كم جدّ لـكن لم ينـل مامولا

فعاد هـذا فائـــزاً مظفـــرا
وعاد ذاك خائبـــا مخـــذولا
تكفل اللـــه لـــه بـــــده
وقد كفى بربـــه كفيـــــلا
فاحكمت يـــد القضـــاء اتقانـه
فلن تـــرى لنقضـــه ســـبيلا
كم قيل ما قيل ولـكن قولـــه
علا ومن اصدق منـــه قيـــلا
فعز نصراً وانثنـى شـــانه
من بعد عـز خاســئا ذليـــلا
فعمه لطـف الالـــه بـــكرة
وخصـــه بلطفـــه اصيـــلا
وانقادت الامور طـــوع امـــره
حيث اطاع الملـــك الجليـــلا
فحق لو نودي ســرى وانجـلى
من سيره ما حـــير العقـــولا
سر به اســتحال امـرا ممكنـا
ما كان في الاوهـــام مـــستحيلا
ان نكثر الشـــكر لـــه فاننـــا
نرى كثير شـــــكرنا قليـــلا
لكنه فرض علينـــا وكفـــى
بالعقل والنقـــل لنـا دليـــلا
به زهـــا قطـــر العـراق جنة
قد حســنت لاهـــله مقيـــلا
« دانيه عليهـــم ظلالهـــــا
وذللت قطوفهـــا تذليـــلا »(٦٦)
فاستطمع الطف ومن طاف بـــه
واملوا من لطفـــه تاميـــلا
يا ساقي العراق ســـقيا فلقـــد
فمت بمـــن حـــل بـــه معيـــلا
وحق ان تروى الطفوف من ظمأ
لما شـــكتعراصهـــا محـــولا
ان لم يغثها اللطف منك اوشكت
ان تفتـــدي ربوعهـــا طـــلولا
لازال ظل الدولـــة العليـــا على
سامي عـــلاك ضافيـــا مسدولا

(٦٥) كتبت الى العلامة السيد محمد صادق بحرالعـــلوم ، اسأله ترجمة السيد الطباطبائي ، فارسل ـ مد الله في عمره ـ الترجمة التي كتبها عنه في مؤلفه المخطـــوط « الدرر البهية » ما ملخصه هو السيد محمد باقر بن الحجة الميرزا ابي القاسم ابن السيد حسن ابن السيد محمد المجاهد ابن السيد علي الطباطبائي الحائـــري صاحب كتاب رياض المسائل ، العالم الفاضل الاديب . ولد ٨ شعبان عام ١٢٧٢هـ في النجف الاشرف وتوفي في كربلاء في ١١ رجب عام ١٣٣١هـ . حضر في كربلاء على الفاضل الاردكاني والحاج ميرزا حبيبالله في النجـــف فقها واصولا ، وحضر في الكاظمية على الشيخ محمـــد حسن آل ياسين في الفقه . وكان مرجعا في الاحـــكام الشرعية ، نافذ الحكم مسموع الكلمة في كربلاء . لـــه منظومة في علم الكلام ، ومنظومة في الحج والزكاة والنكاح والطلاق ، ومنظومة في تكملة منظومة « الدرة » في الفقه للسيد محمد المهدي بحرالعلوم ، ومنظومة الشـــهاب الثاقب في رد ما للقه الناصب ... وغير ذلك ... توفي في كربلاء ورثاه الشعراء بمراثي عديدة . وقد ترجم لـــه ايضا الشيخ علي الخاقاني في مؤلفه المخطوط « شـــعراء كربلاء » ، على ما ذكره لي .

(٦٦) القرآن الكريم . سورة الانسان . الآية / ١٤ .

ولم تزل تنـــــلنا لطفـــــا ولا
زلت بلطف ربنـــا منـــــعما؟
ودام في مطالع الســـــعد لكم
طالع ســـعد لا يـرى أفـــــولا

ومنها ما قاله الشيخ محسن العذاري(٦٧) شاكرا للوالي على ما بذله من الهمة في السد وذلك عند مجيئه الى الحلة وهو :

من مبلغن دعساء غير منـــــجم
لساحة الدولة المنصورة العلم
سلطاننا وامير المؤمنـــــين ومن
فاق السلاطين من عرب ومن عجم
عبدالحميد الذي دانت لهيبتـــه
اسد العرين وفاق السحب بالكرم
ظل الاله على الدنيا الذي رقدت
بامنه عين من قد كان لم ينـــم
من قال للدهر طعني قال ها انا ذا
عبد فخذ بمقاليدي وخـذ بفمي
مولى اذا لاح منه في الثرى قـدم
له الثريـا تمنت موطىء القـدم
من عدله عم في الاقطـار قاطبـة
فالذئب من عدله يرعى مع الغنم
وكفه تســتمد الزاخرات نـدى
منها وانملهـا بالجـود كالـديم
فللملوك جميعـا اصبحت يـده
بالفضل فوق يدٍ منهم وتحت فم
في السلم منهلة للمعتفين نـدى
وللعدى في الوغى منهـلة بـدم
ما مد من ملك كفـا لنيل عـــلا
الا راى قدمـا منـه على القمم
خصب العفاة عظيم الشأن ذو كرم
بالصفح ليس بمنـان ولا ســئم
له المدالة قدمـا شـــأنه وبـه
قامت وفيما عدا علياه لم تقم
اصخ فديتك واسمع لطف رافته
على البريـة بالافضـال والنعم
لما عن انحلة الفيحاء انقطع الـ (م)
ماء الفرات وأمســت في يد العدم
واهلها تحفر الآبـــار من ظمـــأ
بوسط شط عظيم كان في القدم
وكان منها الى اقصاه منتظمـــا
حدائقا وقرى من ســـائر الامم
ولست احصي كثيرا من جداوله
من حيث لاحظ لي في الارض من قسم
وكم وزير اتاها فاشتكت ومضى
عنها واذناه في وقـر وفي صمم
وحين قد ايقنت اتلافهـا وبهـا
أناخ ركب البـــلا بالضـر والالـم
عجت الى الدولة الغراء شـاكية
الى الركاب الهمايوني ذي الشيم(٦٨)
اجابها رافـة منـه ومرحمـــة
مجليـا فيك عنهـا ظلمـة الغمم
فكنت ســرا لدى علياه مدخـرا
لمشكل في ضمير اللوح والقـــلم
انت الوزير الذي في نصح دولتـه
ما دنسته يـد الاطمـاع في وخم
ولاك بغداد لطفـــا في رعيتـــه
لما راى فيك من حزم ومن همم

---

(٦٧) هو الشيخ محسن بن الشيخ علي بن حسين بن عبدالله ابن الكاظم بن علي تربيان . ولد في الحلة عام ١٢٤٦هـ بمحلة النعيس . نزا ما ووالده القرآن وعبادة الله. هاجر الى النجف فحضر على اعلامها ، واختلف على بغداد فاتصل باشهر ادبائها واعلامها . شاعر واديب ينظم الفصيح والعامي . توفي في جمادى الاخرة عام ١٣١٤هـ ودفن في النجف . انظر : علي الخاقاني : شعراء الحلة . النجف ١٩٥٢ . ج ٤ ص ٢٠٠ ـ ٢١٥ ، يوسف كركوش : تاريخ الحلة . النجف ١٩٦٥ ، ج ٢ ص ١٥٥ . والعذار اسم يطلق على مجموعة من القرى والارباف التي تقع على جانبي شط الحلة والممتدة بين بابل وقضاء الهاشمية . ومن الراجح ان التسمية آتية من كونه يشبه العذار الاسود التي يظهر على الخدين لوقوع نخيله على النهر ، شماله وجنوبه . انظر : شعراء الحلة ، مصدر سبق ذكره . ج ٢ ص ٤٩ . ومحمد علي البخشوبي : البابليات . الجزء الثاني . مطبعة الزهراء ١٩٥١ ص ١٩١ ـ ١٩٤ .

(٦٨) همايون : لغة ، القوة والسعادة وذو الطالع . وكان يوجد في الباب العالي ديوان يسمى ديوان همايون ، تصدر عنه الاوامر السلطانية والفرمانات الخاصة ، ومن ثم اطلقت على الفرمان الذي صدر من الباب العالي وقرأ في حديقة گلخانة وعرف بخط همايون گلخانة . انظر : سامي شمس الدين ، قاموس تركي (باللغة التركية) ، اقدام مطبعسي ١٢١٧ . ص ١٥١٠ .

فجئت تسعى لبغداد على قدر
لما براك اليه بارىء النسم
ما قمت في بلد أو جزت من جبل
أو رحت في سبل أو دست من اكم
إلا وقام لك الترحيب لو نطقت
سمعت احسن ترحيب لمحترم
وما رغبت بها الا لتحكم ما
قد جئت فيه من الاحكام والحكم
وقد عطفت بالطاف ومكرمة
الى الفرات لتحيي كل منعدم
فسرت والدهر يمشي طائعا ابدا
تحت الركاب كمشي العبد والخدم
حتى استقمت على نهر الفرات وما
حللت للحزم والاقدام من حزم
لم يثن عزمك عنه لائم ابدا
لبذل مال ولا وهن من العدم
حتى سددت لنا نهر الفرات وقد
اجريته بمجاري اللوح والقلم
وضل من ناضلت افكاره حسدا
علاك يقرع سن الخاسر الندم
اذ كنت اسكندرا وافى بهيبته
لمنع يأجوج في سد من الشلم
لو ان سابور كسرى فيك معتصم
في سد كارون الفى خير معتصم
فلا السويس ولا حفر الخليج ولا
سكور كسرى ولا الزباء في القدم
كمثل حزمك في سد الفرات وقد
ابهرت فيه ذوي الالباب والحلم
اجريته عسجدا للمعتفين فدا
يجري بلطفك من حزم ومن كرم
لو كنت تدرك ذا القرنين ماسلكت
فيه العزائم في وادٍ من الظلم
وكنت اوردته ماء الحيوة كما
اوردتنا العذب بعد الآجن الزحم
وحار في الحيرة النعمان لم دنا
اليك ملتثما للنعل والقدم
وقال قل للسلاطين الذين مضوا
في سالف الدهر من عاد ومن إرم
هذا المليك الذي عمت مكارمه
قطر العراق بوالي المجد والشيم
تجري الى آخر الدنيا مناقبه
مجرى الفرات بناد الفخر والكرم

وقلت لما عاد الوالي الى بغداد من الفيحاء مخاطبا له بالهناء :

اهلا بمن احيا العراق الذي
افناه بالحادث دهر مبير
اهلا بمن اروى قلوب الورى
يوم جرى الماء بعذب نمير
اهلا بمن قد نفس الكرب في
حسن مساعيه وهان العسير
اهلا بمن قد لهجت السن الـ
(م) مدح عليه بثناء كثير
والحلة الفيحاء في ريها
روت مديحا لك يحكي العبير
وخلدت جميل ذكر بماء
قد انطوى منك عليه الضمير
كم فرح من بعد حزن اتى
فيك ووافاها بخير بشير
قد ضحكت بعد عبوس بها
ويضحك الروض سحاب مطير
قرت من الناس عيون بها
كما بها قرت عيون الامير
لولا تلافيك لصارت الى
اسوء حالاتٍ وبئس المصير
فالله يبقيك لسلطاننا
فانت للسلطان نعم الوزير
بحكمة اجريت احكامه
يرجع عنها كل طرف حسير
وغرّ آرائك فاقت كما
فقت بفضل وبعلم غزير
قدم لنا ركنا منيعا وان
خطب دها جئنا نستجير
لازالت الدولة منصورة
والله للدولة نعم النصير

ومنها ما انشده الشاعر المفلق الشيخ عباس العذاري الحلي(٦٩) مهنيا ايضا بوصول الماء الى الفيحاء وما كان من احكام السد السديد البناء وذلك قوله :

سد بعزمك كان سداً محكما
فافخر فقد طاولت في الفخر السما
سد لقد اجبى الولاة ومن مضى
منهم وكل عنه عجزا احجما
سد به مصر العراق واهله
فغدا لهم مد تم عيداً اعظما
جردت صارم عزمة ماضي الشبا
في الجزم لم يقلل ولن ينثلما
لك صولة لو انها بمسلمل
مرت لدكت يذبلا ويسلملما
لا بدع ان ترقى المراتب ساميا
فقد اتخذت من الكواكب سلما
والحلة الفيحاء شكرا اهلها
نظمت بمدحك والثناء الانجما
انعمت شط فراتها ماء طما
ولطالما من قبل قد شكت الظما
كم قطبت من قبل مما نالها
واليوم اصبح ثغرها متبسما
ولكم شكت ألم القذى في عينها
فشفيتها وكفيتها داء العما
حليت عاطل جيدها بمسرة
وكسوتها بُرد التفضل معلما
وسقيت اهليها النمير مسلسلا
عذبا وجرعت الاعادي علقما

لله من عمل لقد احكمته
بجميل رايك والسداد تقوما
فلأنت كعبة كل فضل مثلما
قد صرت للعلم المشرف عيلما
تالله انت الى العراق لنعمة
فلنشكرن على نداك المنعما
سلطاننا المنصور دام بقاؤه
ولمكه الله المهيمن قوما
وحمى الثغور من العدو بسيفه
واعز دين المسلمين وعظما
وعلى الرعية لم تزل منشورة
منه العدالة كافرا او مسلما
ولكم افاض عليهم من سيبه
جودا وكم اغنى الفقير المعدما
واعز اهل العلم منه تكرما
ان عالما منهم وان متعلما
واذا حمى قطرا حماه بمرهف
لا تستبيح يد الاعادي ما حمى
فلنشكرنك يا ولي امورنا
ما طاف او لبى الحجيج واحرما
ارسلت للزورا وزيرا عادلا
كان النهى بجبينه متوسما
ولامرك السامي أجاب مبادرا
واطاع لما إن رآه محتما
والى نفاذ الامر بادر مسرعا
ويرى اوامرك العلية انعما
ندب يكون من الوقار سكونه
فاذا تكلم لم تجد متكلما
يا ايها المولى الوزير ومن له
شرف الوزارة والفخار قد انتمى
دست الوزارة في علاك قد زها
وانار كالشمس المنيرة في السما
فاذا ذوو الرتب استوت اقدامهم
قد كنت احرى القوم ان تتقدما
لازلت يا فخر الولاية ترتقي
من ذروة العز السنام الاعظما
دم في الزمان معظما ومنعما
واسلم مغيظ الحاسدين ومرغما

---

(٦٩) هو الشيخ عباس بن الشيخ علي بن عبدالله الشهير بالعذاري من عشيرة الدغيران من شمر . ولد في الحلة عام ١٢٤٧هـ بمحلة التعيس . نشأ بها على أبيه فاقراه مبادىء العلوم ، رحل الى النجف فحضر على اعلامها وسكن في بغداد أكثر من عامين متصلا بادبائها من آل كبة وآل جميل وآل الآلوسي وغيرهم . اجاد الشعر والخط . توفي في الحلة في شعبان عام ١٢١٨هـ ودفن في النجف . انظر : علي الخاقاني : شعراء الحلة . الجزء الثالث . النجف ١٩٥٢ ص ٢٥٢ ـ ٢٦١ . يوسف كركوش : تاريخ الحلة . الجزء الثاني . النجف ١٩٦٥ . ص ١٥٦ـ ١٥٩ . اليعقوبي ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثالث القسم الاول . المطبعة العلمية ، النجف ص ٤٣ ـ ٤٨ .

ومنها ما قاله الاديب علي بن حمزة الحلي(٧٠) مهنيا ايضا وهو هذا :

زهرت بنور جمالك الزوراء
واستبشرت بقدومك الفيحاء
وتفاخرت بك مذ حللت بأرضها
حتى دعتك بأنك ( )(٧١)
يا من له فوق السماك منازل
دانت لعظم جلالها الجوزاء
لولاك ما ارتوت العطاش ولا جرى
وسط الفرات وراحتيك الماء
اجريته لكن بعزمة قادر
عجزت قبيلك عندها الأمراء
انت الذي لك في الزمان مواهب
تسمو لها فوق السماء سماء
بالراي قد سدتَ الزمانَ واهله
فلذا حبتك الدولة الغراء
نصبتك لكن في الرعية حاكما
فغدوت وفقا ما تشاء تشاء
يا من له العلياء طاطأ هامها
انى تقول بمدحك الشعراء
خذ من نظامي باكراً عربية
الفاظها درٌ وهن ثناء
قد اشرقت في مدح مجدك مثلما
قد اشرقت فوق السماء ذكاء

(٧٠) لم اجد في المصادر التي بين يدي ترجمة له ، وسالت الشيخ علي الخاقاني صاحب شعراء الحلة ثلم نصل الى ترجمته ومعرفته ، فكتبت الى العلامة الفاضل السيد محمد صادق بحر العلوم ، فاجاب بانه يظن ، ان المقصود به الملا علي بن الملا حمزة الملقب بالخيري البغدادي الاصل ، الحلي النشاة والتربية . وقد وردت ترجمة له بهذا الاسم في بابليات اليعقوبي ، وهو من محلة الشواكة من كرخ بغداد من اسرة متوسطة الحال تعرف بآل عفون . كان مولده عام ١٢٧٠هـ ، اقام في الحلة مرتزقا من كتابة الصكوك والوثائق ، واقام بالكفل في خدمة الحاج ذرب بن عباس ، وهاجر الى النجف ثم آب الى الكفل وتوفي فيها فقيرا ، رجب عام ١٣٤٠هـ ودفن في النجف . انظر تفصيل ترجمته ومختارات من شعره في : محمد علي اليعقوبي : البابليات . الجزء الثالث ، القسم الثاني ، النجف ١٩٥٥ ص ٦٠ – ٦٦ . وقال الخاقاني بانه يظن قد ترجم له بهذا الاسم في كتابه المخطوط «شعراء بغداد» بسبب انه بغدادي الاصل .

(٧١) بياض في الاصل .

ومنها ما قاله الاديب محمد سعيد بن الشيخ محمود النجفي(٧٢) وهو :

شكرت مساعي خير وال قصور
من يصنع المعروف فينا يشكر
والٍ زها قطر العراق بلطفه
والروض يزهو بالسحاب المطر
ان يدع سري في الولاة فقد بدا
للطف فيه اي سر مضمر
سر به سد الفرات وقد جرى
من سده ما مد سبعة ابحر
طال الولاة بسده ولطالما
عن ذاك اعيت في قديم الاعصر
كم ارهفت عزما ولم تظفر بما
ظفرت به عزمات خير مظفر
قد جازها امدا بغير عزائم
عن عزم ذي القرنين لما يقصر
سارت بآفاق العراق منيرة
كالنيرات عدادها لم تحصر
فطوى بساط الجور فيه ناشرا
للعدل اي لواء عدل ازهر
وعلى اهالي الحلة الفيحا له
اسنى يد الاؤها لم تكفر
ففداة اصبح ماؤها غوراً وقد
اضحى هشيما كل روض مزهر
وروت ظما اكبادها حتى لقد
كادت تعط من الظما المتعمر
وتشتت ايدي سبا قطانها
كيف الاقامة في اليباب الأقفر
اجرى لها ماء الفرات بعزمه
تنبو لديها عزمة الاسكندر

(٧٢) هو الشيخ محمد سعيد بن الشيخ محمود بن سعيد النجفي الشهير بالاسكافي . ولد في النجف عام ١٢٥٠هـ . شاعر مطبوع واديب معروف في عصره . اتقن الفارسية الى جانب العربية ونظم بهما . هاجر الى كربلاء واتصل بالفاضل علمائها . توفي عام ١٣١٩هـ . وانتقلت آثاره ومجاميعه الشعرية الى ابن خاله محمد امين ثم بيعت سنة ١٣٢٦هـ . انظر تفصيل ترجمته ومختارات من شعره : علي الخاقاني : شعراء الغري . النجف ١٩٥٦ . الجزء التاسع ص ٩٤ – ١٤٧ .

فأعاد بهجتها تـــروق نضـــارة
تحيي العفاة بمنظـــر وبمخبـــر
ولكم به احيى العبـاد وامـــرعت
فيه مرابـع كل ربـــع مقفـــر
فزهت بمجـــراه الربـوع وانبتت
من كل زوج من بهيـــج المنظـــر
كم جدّ في انقـاذ عـزّ اوامـــر
لوليّ امر اللـه خـــير مؤمـــر
لخليفة تاج الخلافـــة مـذ زهـــا
منـه بـــدرة ذاك المفخـــر
فيه احتمى البيت الحـرام وانمـا
يحمي بوارث حجـــره والمشـــعر
فعلى الرعايا والبرايـــا شـــكره
فرض وتارك فرضـــه لم يعـذر
فحمى إله العرش شـــوكة ملكه
لحماية الدين الحنيـــف الانـــور
ولواؤها لازال يزهـــو قائمـــا
طول المـــدى لقيـام يـوم المحشر

الى غير ذلك من الشعر الذي لا يسعه المقام بل لو جمع لكان اعظم ديوان ، والذي ذكرناه انموذج حسن منه شعر بما لاهل العصر من اليد الطولى في النظم والنثر . وقد بني عند انقسام الفرات الى قسمين القسم الذي يجري الى الحلة وما دونها والقسم الذي يجري الى الهندية ، بناء مربع الشكل ارتفاعه نحو باعين ووضع في اعلاه صخرة فيهـا تاريخ اكمال هذا السد ، وقد كتبته بالتماس الوالي وارسل الى اسلامبول فكتب بالخط الحسن هناك وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لما تحول ماء الفرات عن مجراه وانقطع عن الحلة وما يليها من البلاد ، جرى المياه ؛ امر بحفر هذا الخليج الاعظم وانشاء هذا الســـد المحكم ؛ والبنيان الاقوم ، فجرى الماء في مجراه الاول حسبما اقتضاه الحال باتقان العمل ، فارتوت منه البـلاد وعادت من ريه حياة الاراضي والوهاد ، امـــير المؤمنين وسلطان المسلمين ، السلطان ابن السلطان ؛ السلطان الغازي عبدالحميد خان ، لازالت ايامـه غرة في جبهة الاعصر والازمان ودولتـه المنصورة مشيدة الاركان ، وذلك من جملة مبراته المشـكورة واعماله المبرورة ومساعيه المأثورة ، وكان ذلك سنة ثمان بعد الثلاثمائة والالف وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله » .

وبعد ما كتبنا من الشعر الذي قيل في السد عثرنا على قصيدة اخرى نظمها الشـــيخ حســن الشذاري(٧٣) ذكر فيها الثناء على السلطان ووزيره ووصف السد وما ترتب عليه من الفوائد منهـــا قوله :

ومن قال اني مدرك كُنْـهَ وصفه
عجزت وعليـاه عن الحصر والعـد
له المنن اللائي يـــكل لذكرهـــا
لسان بليغ في المقـــال بـلا نـــدّ
وايسرها عـــــود الفـــرات ورده
لجـدوله رد الحســام الى الغمـد
فمن اجله حلت بفيحـــاء بابـــل
رزايا ارتنا الشيب في ارؤس الولـد
الى ان شكوا بالتلغرافـــات ضيمهم
الى الملك المنصور ذي العدل والرفد
فانجدهم لطفا وفضـــلا بأمـــره
وحث الولاة السـالفين على الجهد
فما رزقوا جـدا وعنهـا تماهـلوا
فجرت يدا عمرو واعرض عن زيـد
فسيّر للـزورا وزيـرا ووالـيـــا
به الطالع المنحوس آل الى السـعد

الى ان قال :

فسارالى رد الفـــرات بهمـــة
بها لو رمى الاطواد لم تلق من طود

---

(٧٣) هو الشيخ حسن بن الشيخ عباس بن الشيخ علي بن الشيخ حسن بن عبدالله بن الكاظم بن علي بن تربان . ينحدر نسبه من قبيلة شمر الدغيرات التي تسكن الحجاز ولد في الحلة عام ١٢٦٦هـ ، ونشأ فيها على ابيه وعمه ، ورحل الى النجف فبقي فيها اكثر من عشر سنوات ينهل العلم على اكابر علمائها وادبائها ، ثم آب الى الحـلة ، فتردد على بغداد فانعقدت بينه وبين فضلائها اواصر صداقة قوية ثم رحل الى سوق الشيوخ وفيها توفي عام ١٣٢١هـ . أجاد نظم الشعر والزجل والابنود . وكانت له مراسلات مع الاستاذ محمود شكري الالوسي . انظر : علي الخاقاني ، شعراء الحلة ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني ص ٤٩ - ٧٨ ؛ يوسف كركوش : تاريخ الحلة ، مصدر سبق ذكره ، الجزء الثاني ص ١٥٩ ، مع اختلاف في الترجمة . واليعقوبي ، مصدر سبق ذكره ، جـ ٣ ، القسم الاول ، ص ١٧٩ - ١٨٤ .

ينفذ فيه للمليك أوامرا
برأي سديد فاستقام على السد
فنال بعون الله للملك الرضي
وقد حاز من تكميله غاية القصد
فيالك من والٍ أعاد نفوسنا
بعود الفرات العذب للسقي والورد
سلِمْتَ مهنىً بالأماني مظفراً
وظل الحسود اليوم قلبه كالرعد
ولازلت ملحوظا بعين عناية
ونصرك ما دام المدى خافق البند

وبقي الامر على ما ذكر عدة سنين واوصى المهندسون انلا يهمل السد المذكور من الاصلاح في كل سنة والا يعود الحال الى ما كانت عليه ؛ فلم تزل الحكومة تلاحظه وتقذف بالصخر المجلوب من هيت والآجر المجلوب من خرائب بابل ؛ في صدر الهندية وكل ذلك يرسب في الارض وينخسف ثم اهمل بالكلية فغار ما كان من الصخر والاحجار في الصدر تحت الارض وتحول الماء الى نهر الهندية(٧٤) كما كان وانقطع جري ماء الفرات عن الحلة والقرى التي أسفلها وعاد من سكنة تلك البلاد وما كانوا عليه من البلاء والفقر والشكوى من العطش وخراب البلاد وعادوا يشربون من الآبار ويبست نخيلهم واشجارهم وزروعهم وحاصادفهم برد في سنتين لم يروا مثله في غابر الازمان ، هلك منه الزرع والضرع وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وشرع أولياء الامو ريعللونهم بالأماني الكاذبة والمواعيد حتى انقلب الامر وصارت الدولة مشروطة بالقوانين ولم يبق بيد ولي الامر امر ولا نهي وذلك في اواخر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وثلاثمائة والف في عاشر تموز(٧٥) . فبادر حينئذ بعض أهل الاملاك في نواحي الحلة الى الشكوى لاهل الحل والعقد من ارباب الدولة وبيان ما عرى تلك البلاد من الضرر والخسائر وما كان من الاعراض عن سماع شكواهم قبل الانقلاب وبين مايلحق ذلك من العواقب الوخيمة للدولة والملة وهلاك الرعايا والخسائر العظيمة ثم تكررت الشكوى مرارا الى ان ورد الجواب بسماع شكواهم وارسال المهندسين من الافرنج لاصلاح السد وغير ذلك مما يتعلق باصلاح نهري دجلة والفرات وما تشعب منهما من الانهار واحياء الموات؛ والمهندسون الآن باشروا بالاعمال والله المسؤول ان يصلح امورنا دنيا واخرى ويحسن عواقبنا في الامور كلها انه على كل شيء قدير .

---

(٧٤) وهو الامر الذي فرض ضرورة انشاء سدة الهندية التي بوشر العمل فيها في شباط ١٩١١ وتم انجازها في سنتين وتسعة اشهر وافتتحت رسميا في ١٢ كانون الاول عام ١٩١٣ . ان تصميم سدة الهندية الاصلي يرجع الى السير ويلم ويلكوكس الذي استقدمته الدولة العثمانية لدراسة شؤون الري في العراق . وقد قامت بانشائها شركة السير جون جاكسون في المكان الذي يتشعب فيه الفرات الى الهندية وشط الحلة لتحل محل السد القديم . وقد اجريت عليها عدة اصلاحات خلال فترات مختلفة . انظر : د. احمد سوسة ، في ري العراق (نهر الفرات) . الجزء الاول ، بغداد ١٩٤٥ ص ١١٨ — ١٢٧ ويذكر العزاوي بان اسم الهندية ، يرجع الى ترعة معروفة بهذا الاسم حفرتها اميرة هندية عند زيارتها الى النجف ، فاخذت تتوسع وتحول اليها ماء الفرات فيما بعد . انظر : عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٩ . بينما يذكر د. احمد سوسة بان هذه الترعة التي يشير اليها العزاوي قام بها آصف الدولة وزير محمد شاه الهندي في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وهو الراجح . انظر : احمد سوسة ، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٧٥) وهي الحركة التي قامت بها جماعة الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد الثاني في ١٠ تموز عام ١٩٠٨ . انظر الهامش رقم (٢٢) .